الفصل الأول

فعلتُ وأفعلتُ باتفاق المعنى

مَن استقرى كتب اللغة هالته كثرة الأفعال من (فعل وأفعل) المتفقة في المعنى بالنسبة إلى المختلفة منها، وكان الأصل في ذلك هو اتفاق (فعل وأفعل) في المعنى، وأن ما جاء من اختلاف بينهما كان لأسباب أخرى، أو ربما كان ذلك الاختلاف غير حقيقي في كثير من المواضع أو ربما كان سببه الانتقال من المعنى الحسي أي المساوي إلى المعنى المعنوي ولم يلاحظ علماء اللغة هذا الاتفاق – كما سنرى في موضعه – وقد رأى بعض علماء اللغة أن هذا الاتفاق في المعنى بين الصيغتين موجود ورأى بعضهم عدم وجود هذا الاتفاق كما رأينا في كلام ابن خالويه. وقد أرجع من رأى الاتفاق في المعنى بين صيغتي فعل وأفعل إلى اختلاف اللهجات فلهجة قبيلة ما أفعل ولقبيلة أخرى فعل، فالخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٠هـ قال: (وقد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا فيجيء به قوم على فعلت ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت)[١] .

وقال ابن سيدة: (وقد يكون فعلت وأفعلت بمعنى واحد كان كل واحد منهما لغة لقوم، ثم تختلط فتستعمل اللغتان كقولك: قلته البيع وأقلته وشغله وأشغله وصرَّ أذنيه وأصر إذا أقامهما)[٢] .

وقد أوضح الأمر أكثر ابن درستويه فقال: (لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم على

---

(١) كتاب سيبويه، ٢/٢٣٦.
(٢) المخصص، ١٤/١٧١.

طباعها وما في نفوسها من معانيها وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون العلة والفرق، فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم.. وليس يجيء شيء من هذا إلا على لغتين متباينتين كما بينا أو يكون على معنيين مختلفين)[1]. وقد ذكر الزجاج في كتابه (فعلت وأفعلت) كثيراً من هذه الأفعال المتفقة في المعنى ومرتبة حسب الترتيب الهجائي لها ونذكر هنا بعضاً منها:

باب الجيم من فعلت وأفعلت والمعنى الواحد:

نقول جذى الرجل وأجذى إذا انتصب وأجنَّة وجنَّ عليه الليل إذا أظلم عليه، ستره، جنوناً وجنان وإجنانا، وجننت الرجل وأجننته إذا دفنته، ويقال جلا الرجل بثوبه، وأجلى بثوبه إذا رمى به، وجلا القوم عن ديارهم، وأجلوا إذا تركوها وخرجوا عنها، وجنب معا الرجل من الجنابة وأجنب، وجفل القوم وأجفلوا إذا انهزموا بجماعتهم، كذلك جفل النعام يجفل جفلاً، وأجفل إجفالاً، ويقال: جفأت الباب أجفأه جفأ وأجفأته إجفاء إذا أغلقته، ويقال: جد في الأمر وأجد إذا ترك الهوينا ولزم القصد والاستواء، ومن هذا قيل جاد مجد وجاح الله مال العدو وأجاحه من الجائحة[2].

نلاحظ أن كل هذه الأفعال يصح فيها فعل وأفعل، وقد ذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب في كتاب الأبنية (بنية الأفعال) باباً باسم (باب فعلت وأفعلت) باتفاق المعنى نذكر أيضاً بعضاً منه: (حَدَّت المرأة) وأحدت، فرزت الشيء وأفرزته، عقم الله رحمها وأعقمها، حدق القوم به وأحدقوا، أوخفت الخطمي وخفتُه، دجَنت السماء وأوجنت، جلبوا عليه وأجلبوا إذا صاحوا، لاذوا به وألاذوا، وجرته الدواء وأوجرته، صلَّ اللحم وأصلَّ وضَمَ وأضَم[3].

---

(١) المزهر، ٣٨٤/١.
(٢) فعلت وأفعلت، الزجاج، ١٥، ١٦.
(٣) أدب الكاتب، ابن قتيبه، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ص٤، د. ت ٢٣٥.

ثم يذكر بعد هذا الباب باباً آخر وهو (باب فعلت وأفعلت، باتفاق المعنى واختلافهما في التعدي، وهذا يعني اعترافاً منه بأن هذا المعنى الصرفي (وهو التعدي) لا يغير في المعنى شيئاً، فالمعنى فيهما واحد، غير أن الأول لازم، والثاني متعد، أي أن فعل لازم وأفعل متعد فقط، وهذا يجعلنا نعيد النظر في المعاني الصرفية كما سيأتي .

ومن أمثلة هذا الباب: (زريتُ عليه وأزريتُ به، رفقت به وأرفقته، وأنسأ الله أجله ونسأ في أجله ـ ذهبت بالشيء وأذهبته جئت له وأجأته، دخلت به وأدخلته، خرجت به وأخرجته، علوت به وأعلته، تكلم فما سقط وما أسقط حرفاً، غفلت عنه وأغفلته، جن عليه الليل وأجنه الليل، شالت الناقة بذنبها وأشالت ذنبها أشلت الجر وشلت به) [1] .

ذكر ابن قتيبة بهذا الباب مائتين وخمسة وعشرين فعلاً مما اتفقت فيهم الصيغتان، مما يدل علي كم الأفعال المتفقة المعنى، مما يفهم منه أن الأصل هو اتفاق المعنى في فعل وأفعل، لهذا نحتاج لدراسة متأنية.

(١) أدب الكاتب، ٣٤٢.